

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رِيَاضُ الصَّالِحِينَ

## مِنْ أَخْبَارِ السَّلْفِ فِي بَابِ الشَّفَاعَةِ

الشِّيخُ: خَالِدُ بْنُ عُثْمَانَ السَّبْتَ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمن أخبار السلف رضي الله تعالى عنهم - في الشفاعة والسعى في الإصلاح بين الناس ما جاء عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها باعت داراً لها فسخط ابن أختها وهو عبد الله بن الزبير - رضي الله تعالى عنه -، وأمه أسماء أخت عائشة - رضي الله عن الجميع -، وقال كلمة بلغت عائشة - رضي الله عنها - وأذعجتها، فغضبت وحلفت ألا تكلمه حتى تموت، وكان من أعز الناس إليها حتى إنها - رضي الله عنها - كانت تكفي بأم عبد الله، وهو عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه -، فكانه ابن لها، ومعلوم أنه ليس لها أبناء - رضي الله عنها -، وكانت تحبه حباً كبيراً، فحلفت ألا تكلمه حتى تموت، وطال هجرها له، وتغص عليه أمره، وضاق عليه الحال، فاستشفع بكل أحد يرى أنه يقل عليه، فأبانت أن تكلمه، فلما طال ذلك كلام المسئور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أن يشمله بأرديةتما ثم يستأذنا، أي: يدخل عليها مختقياً، يعطونه؛ لأنها لن تسمح له بالدخول، ولن تستقبله، ثم يستأذنا فإذا أذنت لهم قالوا: كُلُّنَا؟، أي: تأذنن للجميع؟، وهو معهم وهي لا تشعر لكي يدخلها عليها، وحتى لا تحتاج وتنقول: لم آذن له، ففعلوا ذلك، فقالت: نعم، كلهم فليدخل، فدخل معهما ابن الزبير، فكلمها المسئور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث من رواء الحجاب، كما قال الله - عز وجل -: **{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}** [الأحزاب: ٥٣] أما ابن الزبير فهي خالته ويدخل عليها، فكشف الستر، دخل فاعتنقا، فبكى وبكت عائشة معه كثيراً، وناشدتها ابن الزبير الله والرحم، وناشدتها مسورة وعبد الرحمن بالله والرحم من وراء الستر، وذكر لها قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: **((لَا بَحْلَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرْ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ))**<sup>(١)</sup>، فلما أكثروا عليها كلمته، بعد أن خشي ألا تكلمه، ثم بعثت إلى اليمن بمال فابتاع لها أربعون رقبة فأعتقتها، كل هذا عن يمين واحد، وقد حلف لها ابن الزبير أيضاً وأكد لها أنه سيكفر عنها، فأعتق عنها رقباً كثيرة، فالمعنى أن هذا قد يقع بين الناس، فيسعى أهل الفضل والخير والصلاح في جمع القلوب ولم الشعث، وإزالة الكدر والوحشة التي تقع في قلوب الناس، ولا يليق بحال من الأحوال أن يكون الناس رواحل للشيطان، هذا يحمل كلمة وهذا يحمل كلمة مما يزيد الشقة ويوسع الخلاف ويباعد بين القلوب كما هو حال الكثرين، وهذا يدل أيضاً على أن النفوس قد يبقى فيها أشياء، ويكون لها بعض الوقفة، ويحتاج إزالة ذلك إلى شيء من المعالجة، والنفوس تحتاج إلى المجاهدات، فليس لأحد أن يقول: أنا قد كملت أخلاقي وإنني على الدرجة العالية في كل شيء من

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، (٥٣/٨)، رقم: (٦٢٣٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاثة بلا عذر شرعاً (٤/١٩٨٤)، رقم: (٢٥٦٠).

الإغصاء والغفو والتجاوز، فقد تبرد من الإنسان الكلمة ويمكن أن يكون غيرها أفضل منها، وقد يبدر من الإنسان أيضاً رد فعل قد يكون غيره أولى منه، فالإنسان دائماً يستدرك تقصيره إن بدر منه شيء تجاه إخوانه، ويستدرك أيضاً إن وقع منه شيء من ردود الأفعال التي كان ينبغي ألا تقع، وهذه عائشة -رضي الله عنها- شفعت في حُجر بن عدي لما أراد معاوية قتله، ولكن رسولها لم يدرك ذلك إلا بعد قتله، والأحنف بن قيس كلام مصعب بن الزبير في محبوسين، وكان مصعب أميراً على العرافين في ولادة أخيه عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهم-، كلمه الأحنف بن قيس في محبوسين وقال: أصلح الله الأمير، إن كانوا حبسوا في باطل فالعدل يسعهم، وإن كان حبسوا في حق فاللعم يسعهم، وهذا شريح بن هاني وفد على معاوية شافعاً في كثير بن شهاب فأطلقه له، وورد أيضاً أن الوليد في أيام خلافته قدم المدينة فدخل المسجد فرأى شيخاً قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا، قالوا: سعيد بن المسيب، فلما جلس أرسل إليه، فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: لعلك أخطأت بسمي، أو لعله أرسلك إلى غيري، فرد الرسول، فأخبره فغضب الخليفة، وهمّ به، وفي الناس يومئذ تقية فأقبلوا عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقيه المدينة، وشيخ قريش، وصديق أبيك، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه، مما زالوا به يكلمونه ويشفعون بين يديه حتى أضرب عنه، كلموه فيه وشفعوا عنده حتى أعرض عنه، وأخبارهم في هذا كثيرة، من ذلك أن محمد بن عجلان خرج على المنصور مع ابن حسن فلما قُتل ابن حسن همّ والمدينة جعفر بن سليمان أن يجدد ابن عجلان، فقالوا: أصلحك الله، لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا أكنت تضربه؟ قال: لا، قيل: فابن عجلان من أهل المدينة كالحسن في أهل البصرة، وقيل: إنه هم بقطع يده حتى كلموه وازدحم على بابه الناس، فعفا عنه، أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا وإياكم نافعين للخلق، مباركين حيث كنا، وأن يعيننا وإياكم على أنفسنا، وعلى ذكره وشكره وحسن عبادته، اللهم ارحم موتانا واغسل مرضانا، واعف مبتلنا، واجعل آخرتنا خيراً من دنيانا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.